

من تاريخ الطب الإسلامي

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غني

سفير إيران بمصر

—♦♦♦♦♦—

سعادة الدكتور قاسم غني سفير إيران بمصر شخصية علية من الطراز الأول ، لم يمتص عليه في مصر الأناضول معدودات ومع ذلك استطاع أن يكسب نفسه ولأمت أصدقاء ممتازين ، لا في المحيط الاجتماعي والدبلوماسي تحب ، ولكن في المحيط العلمي أيضاً ، وقد كان ذلك واضحاً في فاعة المنفرد له على إبراهيم باشا بكلية الطب ، ثم في فاعة دار المحكمة حيث ألقي الدكتور الصغير العالم محاضراته عن « تاريخ الطب الإسلامي » فكتت ترى الحاضرين مزيجاً مختلفاً ما بين سياسيين ووزراء وعلماء وأطباء وآباء وروايات وغيرهم ما لم تألف فاعات المحاضرات في مصر شهوده كثيراً ، وكلهم أصدقاء للدكتور قاسم غني معجبون بلمه وأدبه وفضله ولقراء الرسالة عهد بهذا العالم البعثة من قبل ، فقد قدمه اليهم سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك في عدد من اعدادها . وهو الآن مهمته ينقل كتابه العظيم الذي ألته بالفارسية عن « التصوف الإسلامي » إلى اللسان العربي . وقد ظفر صديق من أصدقاء الدكتور والرسالة بهذا البحث العلمي القيم ، الذي ألقي في كلية الطب ودار المحكمة فأثر به قراء الرسالة ، وهما نحن أولاء . تقدمه في أعداد متوالية شاكرين معجبين :

« الرسالة »

١ - طب العرب في الجاهلية :

في بدء ظهور الإسلام عند ما كانت الشريعة الجديدة لم تتجاوز بمدد حدود القبائل العربية في الحجاز إلى سائر بلاد العالم فكان معظم القبائل العربية ، مثل بقية القبائل البدوية لا يهتم بالعلوم والفنون المختلفة ؛ وكان جل اهتمامهم منصباً على التعمق والتوسع في علوم العربية وأحكام الشريعة الإسلامية .

وبما أن معالجة المرضى وتعميرهم من الأمور الطبيعية لدى الإنسان ، وأن لجاعات البشر حتى في بدايتها فريرة حفظ الحياة ، وأن حاجتها لتسكين آلامها وأوجاعها تجبرها على البحث عن العلاج اللازم لأدائها وأوجاعها ؛ فكان لا بد من أن ينشأ بينها نوع من الطب والملاج البدائي وقد كان . فقد ظهر وشاع طب من هذا القبيل بين القبائل العربية البدوية .

وقد كان الطب الشائع بين القبائل العربية في ميبدأ ظهور الإسلام عبارة عن بعض المعالجات التجريبية ، مقرونة بأعمال السحر والحرافات كما كانت الحال لدى أكثر القبائل الرحل ، وكما لا يزال شائناً إلى يومنا هذا لدى بعض الأقوام غير المتحضرة ، فإن عوامل شتى كالمصادفات والتجارب والاختبارات ومشاهدة الطبيعة ، والنظر في أحوال المرضى واتباع الفرائض الطبيعية والدرافع الفطرية وتقليد الحيوان ، والتدبير والتفكير في أعماله ، دعت الإنسان للوصول إلى تدابير طبية ، وهدته إلى اتخاذ وسائل علاجية ، ثم أضيف إلى ذلك كله بالتدرج ، عقائد وممارف وافتراضات صحيحة وغير صحيحة مثل الشبه الموجود بين الإنسان والعالم الأكبر ، وتأثير النجوم والكواكب والأجرام السماوية الأخرى في الإنسان ، وعبادة الأرواح ، والاعتقاد بتناسخها ، وعودتها إلى الأجسام ، والإيمان بوجود الجن والشياطين والأرواح الخبيثة ، وحلول الشياطين والأرواح الشريرة في بدن الإنسان وتسيبها الآلام المبرحة ، إلى غير ذلك من المعتقدات ، فتكون من مجموع ذلك كله نوع من الطب ، كما أشرنا إليه آنفاً .

وقد كان جماعة من الشيوخ الجريين ومن بعدهم أبناؤهم والمتصلون بهم ممن كانوا يشاهدون التجارب والمعالجات التي يقوم بها الشيوخ ، كانوا يقومون بملاج المرضى ؛ وهؤلاء يمكن اعتبارهم أطباء تلك الحقب . وكان عدد قليل من العرب ممن درسوا الطب في البلاد المجاورة لجزيرة العرب ، ولا سيما إيران يزاولون مهنة الطب بين قومهم ، منهم الحارث بن كلدة الذي كان قد درس الطب في مدرسة جند يسابور ، وابن أبي رمثة التميمي ، وكان جراحاً معروفاً ، وزينب ، وقد اشتهرت بمعالجة الرمد والجراحات .

وقد كان ظهور الإسلام سبباً في لم شمت القبائل العربية البدوية ، إذ أنشأ جامعة سياسية ودينية واجتماعية قوية لهم ، استطاعت في زمن وجيز أن تقلب أوضاع العالم المحتضر حينذاك رأساً على عقب ، وأن تخلف امبراطوريتي الفرس والروم .

وقد كان من آثار غلبة العرب على أقوام كانت تسبقها في الحضارة والعلوم والفنون أن اقتبس العرب كثيراً من علوم تلك الأقوام وفنونها ، فإن تقدمهم السريع واستقرار مدنيهم ، كانا يستلزمان هذا الاقتباس .

عليه في الزمان ، غير أن له فضل دراسة كل هذه المعارف وتقدمها والوصول عن طريق النقد والبحث العلمي إلى معارف ومعلومات جديدة .

وقد كانت هذه هي الطريقة التي جرى عليها كثير من مواطنيه أمثال أفلاطون وأرسطو كل في بابيه — فقد اقتبسوا من معارف الأمم التي سبقتهم أو التي عاصرتهم ، واستفادوا منها ، ولكنهم لم يكتفوا بذلك ، بل درسوا تلك المعارف ، ونقدوها نقداً علمياً دقيقاً ، وفرقوا بين أصولها وفروعها وغشها وسميتها ورتبوا استنتاجاتهم وبوجوبها على خير وجه ، ووضعوها في متناول طالب العلم في العالم أجمع .

لقد خلص بقراط الطب من أجواء الهياكل والمبادئ المشبعة بالأسرار والألغاز ، وحرره من قيود الكهنة ورجال الدين ، وأقامه على أسس العلوم الحيوية الصحيحة ، وأرجع المرض والحياة لقوانين طبيعية ثابتة ، وبرهن على أن الوصول إلى تلك القوانين الثابتة ممكن عن طريق دراسة الطبيعة دراسة دقيقة وافية ، كما بين الروابط التي تربط الملة بالملول . وقد جعل أساس كل بحوثه الطبية الدرس والتجربة بمد أن وازنهما بالنظر والاستدلال والنطق واهتدى بهديهما ، ولاءم بين التجارب العملية والأمور النظرية ، وقد وُفق في ذلك توفيقاً عظيماً .

يعتقد بقراط أن الإنسان جزء من الطبيعة والكون ، وكما أن كل كائن حي في هذا الوجود مرتبط بالطبيعة طبقاً لقواعد مقررة وقوانين ثابتة ، كذلك الإنسان فإنه خاضع لهذه القواعد والقوانين نفسها ؛ والموازنة بين العوامل الطبيعية هي الصحة والحياة ؛ وإن قوى الفرد كلها تهدف لإيجاد هذا التوازن والتبادل . وعند ما يختل هذا التوازن لملل خارجة ، تبادر جميع قوى الفرد لدفع هذه العوامل الخارجية والعلل الضارة وإيجاد التوازن المطلوب وإقراره ، وأن مهمة الطبيب مقصورة على خدمة طبيعة الفرد ومساعدتها في هذا السعى الحيوي الذي تقوم به ، ولذلك كان يسمى الطبيب بخادم الطبيعة .

وحيث أن تشريح الجثث الإنسانية كان غير مستطاع حينذاك وكان علم التشريح وعلم وظيفة الأعضاء ناقصين تبعاً لذلك ، فإن المعارف التي كانت لدى بقراط عن الطب لم تكن كبيرة من

ولا بد لمعرفة مصادر الطب الإسلامي من أن نأتي نظرة إجمالية على تاريخ الطب قبل الإسلام وفي العصر الأول الإسلامي انعرف كيف ومن أي الأقوام وعن أي طريق وصلت تلك العلوم إلى ومن جملتها الطب إلى العرب ، والحالة التي كانت عليها تلك العلوم عندما تلقاها المسلمون عنها . وبعد ذلك نستطيع أن نعرف إلى أي حد خدم المسلمون هذه العلوم ومبلغ ما نالته تلك العلوم على أيديهم من تقدم وعظمة .

٢ — مصادر الطب الإسلامي :

لقد أسلفنا القول في أن الأمم القديمة جميعها كان لها نوع من الطب والملاج ، وأن تاريخ ظهور الطب هو تاريخ ظهور النوع البشري ، أعني أن الأمراض والأوجاع المختلفة لازمت الإنسان الأول منذ بدء الخليقة وأن الآثار التاريخية التي اكتشفت عن الإنسان الأول تدل على وجود آثار بعض الأمراض لديه ، ومن الثابت أن الإنسان — مثل سائر الحيوان — كان يبحث بحكم الغريزة والفطرة والإيحاء الطبيعي عن علاج لتسكين آلامه وإبراء أمراضه .

وقد كان لدى بعض الأمم القديمة كالصينيين وسكان ما بين النهرين ومصر وإيران والفينيقيين واليهود طب مدرّس مدون ، وكان الطب يعتبر لديهم مهنة خاصة لها ناحيتان علمية وعملية ، غير أن اليونان من الأمم القديمة تعتبر الأمة التي بلغ الطب لديها شأواً عظيماً من الرق ، وكان له لديها شأن جليل .

وكان بلوغ الطب هذه المنزلة الرفيعة لدى اليونان بفضل بقراط الذي يُدعى بحق (أبا الطب) .

لقد عاش بقراط في عصر من أزهى عصور الرق العلمي في اليونان ، أعني عصر بركليس الذهبي الذي ظهر فيه كثير من عظماء اليونان أمثال توسيديد ، وفدياس وسوفوكل وأوريبيد . وبعد بقراط بحق أعظم أطباء الأمم القديمة علماء وعملا ، وقد بق زهاء أثنى عام شخصية طبية مسيطرة على عالم الطب في الدنيا كلها ، وقد كانت أقواله وآراؤه المرجع الوحيد في هذا الباب وعليها المول طوال هذه الحقبة حتى النهضة الأوروبية . وإن التشطر الأكبر من المعارف التي رتبها ونظلمها بقراط عن الطب مأخوذ ومقتبس من سائر الأمم أو اليونانيين السابقين

بمزاولة هذه المهنة من اليونانيين أنفسهم إلى أن ظهر في القرن الثاني للميلاد ، أستاذ عظيم آخر في عالم الطب ، وهو جالينوس . أجل ، كان هناك في الحقبة الواقعة بين عصر أبقراط وعصر جالينوس عدد من كبار الأطباء أمثال تيوفراست Thèophraste وديوكلس Deocles ، وسلس Celse ، وديوسقوريدوس Dioseoride ، وبليناس الحكيم Plîne L. ancien وكاليوس أورليانوس Gælius Aurélianus ، وارتة Artée وغيرهم .

وقد أضاف كلٌّ منهم شيئاً جديداً إلى المعارف الطبية القديمة كما أظهر بعضهم نظريات حديثة أحياناً . غير أن أساس الطب بصورة عامة لم يتغير عما كان عليه في زمن بقراط ، إلى أن ظهر جالينوس العظيم من برغامس Pergames وهو من يوناني آسيا الصغرى ، فكان الشخصية الطبية العظيمة الثانية بعد بقراط .

لقد تلقى جالينوس دروسه الأولى في مسقط رأسه ، ثم استمر في تلقى العلم في جزيرة كورينثس Corinthes ، ثم رحل إلى الإسكندرية ، فالتقى فيها الطب علماً وعملاً ، ثم شدَّ رحاله إلى جزيرة قبرص وجزائر أخرى من جزائر البحر الأبيض المتوسط وفلسطين ، وكانت رحلاته كلها للدرس والبحث عن الأعشاب الطبية والانصال بملء تلك البلاد ، ثم عاد بعدها إلى موطنه ومارس مهنة الطب هناك مدة ، ثم استقرَّ به المقام في روما وأسس فيها حلقة لدرس الطب في رحي مارك أورل .

وكان عالماً محباً للعلماء والفلاسفة واشتغل أيضاً بمزاولة الطب هناك ، وكان يقوم في نفس الوقت بتربية جماعة من تلاميذه كما كان يقوم بتأليف مؤلفات مهمة في علم الطب أصبحت فيما بعد مصدراً من أهم مصادر الطب الإسلامي .

وكان جالينوس يمد بصفة خاصة أستاذه علم التشريح غير منازع مدى أربعة عشر قرناً ، أي من القرن الثاني للميلاد إلى القرن السادس عشر منه . وكان جميع أطباء القرون الوسطى ومن ضمنهم الأطباء المسلمون يدرسون التشريح عن طريق مؤلفاته ، حتى ظهر في القرن السادس عشر للميلاد الطبيب البلجيكي الشهير فزال من علماء التشريح الكبار^(١) مؤلف في التشريح برهن

(١) André Vésale أكبر علماء التشريح في القرن السادس عشر للميلاد ، وقد كان يقوم بتشريح جثث الموتى طبياً للطرق العلمية الصحيحة وله مؤلف عظيم في التشريح أوضح فيه الأخطاء الموجودة في تشريح جالينوس

حيث الكم ، فإن دائرة معارفه عن الأمراض كانت ضيقة لا يستطيع بها إيضاح تطورات المرض وتحولاته كما ينبغي ؛ غير أن معارفه كانت على مبلغ عظيم من الأهمية من حيث الكيف . لقد بنى بقراط طريقته على أساس علمي متين ، فقد فصل الطب عن الدين فصلاً تاماً وجعل حالة المريض نفسه أساساً لملاجه .

ويتضح من صيغة القسم المعروف بهمد بقراط ومن الرسائل الطبية التي ألفها ، أنه قد حدد بوضوح تام حقوق الطبيب ووظائفه وواجباته الأخلاقية والاجتماعية ، كما يتبين من ذلك كله أنه قد أضفى على هذه المهنة صورة خالقية ، وجعل منها عملاً إنسانياً وقياماً بالواجب محمداً ، وكان هو نفسه مثلاً حياً للأخلاق الفاضلة من إيمان بالحق ودفاع عنه وحب للخير وإيثار وعطف على المرضى والموجعين ، وهمة عالية في نشر العلم والمعرفة وغيرها عليها لا تجارى .

وقد ترك بقراط للعالم مجموعة طبية تعتبر أندم تراث طبي قدم للبشرية ، وأتمن مجموعة ، إلا وهي المجموعة الأبقراطية - Corpus Hippocraticum . وفيها بحوث عن جميع النواحي النظرية والعملية في الطب ؛ وتمد أهم مصادر الطب الإسلامي .

واحتذى إبننا بقراط وصهره وبعض تلاميذه من بعده حذوه وتوسموا خطاه في بحوثهم الطبية . وأضاف إليها أفلاطون وأرسطو بنظريتهما الفلسفية آراء في كليات الطب . ثم ظهرت في المدن وبعض الجزر اليونانية مجامع أو حلقات مهمة لدراسة الطب . وبرز كثير من الأطباء الكبار في هذا المجال وكانوا جميعاً مع تفاوت في الدرجة من شراح مؤلفات بقراط وآثاره إلى أن أصبحت الإسكندرية مركزاً للمعلوم الطبية اليونانية ، وأجيز تشريح جثث الموتى وتقدم علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء تقدماً كبيراً .

فالإسكندرية كانت بالنظر لموقعها الجغرافي وماضها الاجتماعي محل اختلاط شتى القبائل والأقوام الإفريقية والآسيوية والأوروبية وكانت من أهم المراكز الاجتماعية والثقافية في الدنيا القديمة ، لذلك تجتمع فيها معارف مختلفة من مصادر شتى أضيفت هذه كلها إلى طب بقراط .

وقد انتشر طب اليونان بين الروم أيضاً ، وكان معظم القاعين

إلى اللغة السريانية (الأرامية الحديثة) وتأسيسهم المدارس في (الرها) و (نصيبين) وبعض المدن الأخرى، واشتغال بعضهم بتدريس العلوم المختلفة كالرياضيات والفلسفة والطب وغيرها في مدرسة جند بسابور. وفي القرن السادس الميلاد عند ما طرد الفلاسفة الوثنيون الأفلاطونية الحديثة Neo Platonien من الإسكندرية بناء على أمر الامبراطور جوستنيان الأول واضطهدوا أولى هؤلاء وجوههم نحو بلاد المشرق وانضموا إلى النسطوريين. وانضم إليهم كذلك جماعة من اليهود والأقباط ممن كانوا على اطلاع واف على علوم اليونان وقاموا جميعاً بنشر العلوم والمعارف اليونانية ومن جعلها الطب في بلاد الشرق.

هذا مجمل تطور الطب قبل الإسلام ذكره، بقدمه لما تريد أن تبسط فيه القول فيما بعد. وبعد هذه المقدمة ليس في وسعنا أن نفهم بصورة جلية كيف كانت حالة هذه العلوم عند ما أتجه نحوها المسلمون وبأية درجة كانت في متناول أيديهم، وما مبلغ اقتباسهم منها؛ وأخيراً ما هي الخدمات التي أسداها المسلمون لتلك العلوم وكيف أسديت إليها.

(يتبع)

فيه على وجود نقائص في تشريح جالينوس فأسقطه من الاعتبار. والخلاصة أن اليونانيين وضعوا أساس علم الطب بالاستمانة بمعارف سائر الأمم وتجاربهم. ومن أهم رجالهم في هذا الصدد بقراط العظيم الذي أقام بحوثه على أساس البحث والتحليل والنقد الملمى والتجارب، فأبرزه لنا بصورة علمية صحيحة؛ وسمى خلفائه من بعده في هذا البناء على تلك القواعد الثابتة. ثم تقدمت الدراسات الطبية في الإسكندرية؛ وظهر بعد ذلك جالينوس في القرن الثاني فدون معارف العلماء المتقدمين وأظهرها بصورة علمية منظمة واضحة. وقد تهيأت مقدمات سقوط امبراطورية روما التبرية نتيجة لضعفها وفساد الإدارة فيها وحدثت حوادث اجتماعية وسياسية مختلفة، ووقوع حروب وتفشي أمراض، ثم سقطت تلك الإمبراطورية، ونتج عن سقوطها أن مراكز العلم والحضارة أصبحت هدفاً لهجوم القبائل البربرية؛ إذ أن هؤلاء البرابرة انحدروا من جبال الإلب واستولوا على إيطاليا، وكان من جراء ذلك أن العلوم والفنون ومن ضمنها الطب لم تتوقف عن التقدم فحسب، بل عادت القهقري ثانية، واستولى على الطب السحر والشعوذة والدجل والخرافات، وحلت التخائم والمزائم محل المقابر والأدوية الطبية مرة أخرى.

ولم يكن انتشار الدين المسيحي واعتناق الناس له بصورة رسمية في روما الشرقية - الامبراطورية البيزنطية - مشجعاً للعلماء إذ أن الكنيسة كانت تعتبر العلم والفلسفة مخالفين للشرع نوعاً؛ ما لذلك قامت بسد أبواب المدارس والقضاء على الجامعات العلمية واعتبرت العلماء والفلاسفة كفرة مارقين عن الدين. ففي القرن الخامس للميلاد مثلاً أغلقت الكنيسة أبواب مدرسة الرها (أوس) وكانت قائمة محل أورفة الحالية. - وطردت منها النسطوريين فرحل جماعة منهم إلى إيران والتجأت إليها، وكان لبعضهم فضل كبير في تقدم مدرسة جندی سابور. وكان هؤلاء - النسطوريون من أتباع نسطوريوس أسقف القسطنطينية الذي نفى منها بناء على طلب الجامع الدينية بهمة الابتداع في الدين، والذي مات حوالي سنة ٤٤٠ ميلادية بمصر، وتفرق معظم أتباعه وتلاميذه في بلاد سورية وبين الهيرين وإيران وعاشوا فيها ونشروا الحضارة اليونانية في أرجائها وفي سائر بلاد الشرق بترجمتهم للمتون اليونانية

مصلحة الأملاك الأميرية

إدارة المستخدمين - إعلان

تعلمن مصلحة الأملاك الأميرية أن يوجد بها وظائف كتابية ويشترط أن يكون طالبوا التعيين في هذه الوظائف من الحائزين على شهادة الدراسة الثانوية قسم خاص أو شهادة التجارة المتوسطة وتقدم الطلبات على الاستمارة ١٦٧ ع ١٠ ح حتى ميماد غايته ٢٠ مايو سنة ١٩٤٨ برسم مدير عام مصلحة الأملاك الأميرية

٩٣٧٥